والاستعمار في ذلك الوقت . ان الفكرة العربية لم تكن احد عناصر المرحلة التاريخية التي عاشها الرواد ، بل كانت تحمل مضمونا مختلفا عن مضمونها اليوم .

هذا من ناحية « العروبة » ، اما من ناحية « الدين » فقد ينفرد سلامة موسى عن بقية ابناء جيله من كتاب الثورة الوطنية الديمقراطية ، في التزامه بالمنهج العلمي الذي يرفض الغيبيات كاساس للمعرفة . ولن نجد في واقع الامر حرفا واحدا في تراث سلامة موسى ضد الاسلام ، ولكن حين يكتب عن حرية الفكر او نظرية التطور كادوات لا بد منها للمعرفة العلمية، فانه بلا شك يمس الاديان كمنهج غيبي. على ان موقفه من الاسلام بالذات كان موقفا موضوعيا حين كتب يمجد ما به من قيم ايجابية بعيدة عن غشاوة الغيبيات في المسيحية .

اذاً ، فنحن اذا لم نعزل موقف سلامة من العروبة والاسلام عن موقفه الفكري العام، نستطيع ان نحصل على مفكر تقدمي بارز في تاريخنا الحديث، حمل لواء الكفاح من اجل الفكرة الاشتراكية ، فاسهم بكل ما يملك من امكانيات في مختلف اشكالها العملية والفكرية .

لهذا يبدو لنا سلامة موسى رمزا للنضال المصري من اجل الاشتراكية، وتأتي ذكراه كمناسبة لضرورة تغيير الموقف الرسمي من هذا المفكر العظيم ، بل وتغيير الموقف من تاريخ الفكر الاشتراكي في مصر، حيث يحتاج الى دراسات موضوعية تضع كل فكرة وكل انسان في مكانه الصحيح من حركة التاريخ . من هنا نحيي مجلة « الطليعة » التي افردت قسما كبيرا من صفحاتها لدراسة تراث سلامة موسى .

موسم حاسم في المغرب

الرباط ، من محمد اديب السلاوي :

انتعشت الحركة الفنية بالمغرب وخطت خطوات مهمة الى الامام هذا الموسم ، بعد الركود الذي اكتنفها في السنوات الاخيرة ، الناتج عن اهمال المصالح الادارية المسؤولة عن الفنون في البلاد .

ويمكن اعتبار الموسم الفني الحالي انطلاقة جديدة في حياة الفنون الجميلة بالمغرب ، بعد الاهتمامات الادارية والادبية التي توجهت نحو الفنون ونحو رفع مستواها وجعلها تضاهي الحياة الاجتماعية والفكرية بالمغرب .

فبالنسبة للمسرح اسندت الادارات المركزية لمسرح محمد الخامس (وهو اكبر المسارح في شمالي افريقيا) والمسرح البلدي بالدار البيضاء ومسرح الجديدة ، لاول مرة في تاريخ المغرب المستقل، الى فنانين مغاربة – الشيء الذي عزز الحركة المسرحية وجعلها ، ولو من الناحيتين الادارية والشكلية ، تستمر بنشاط ملحوظ طوال شهور الموسم ، بعدما كانت مهانة من طرف المسؤولين الفرنسيين الذين كانوا حتى ١٩٦٤ يحتلون الاطارات الفنية بالبلاد.

وبالنسبة للرسم ، تشكلت مع بداية الموسم ، ولاول مرة ، جمعية الفنون الجميلة ، التي انطوى تحت لوائها جميع الرسامين المغاربة . وعقدت هذه الجمعية مؤتمرها الاول واتخذت فيه قرارات ايجابية، ثم اشرفت بنفسها على معظم المعارض الفنية المغربية لهذا الموسم .

اما في الميادين الاخرى فقد اولت الدولة الفولكلور والمعاهد الموسيقية ومدارس الفنون التشكيلية اهتماما كبيرا هذه السنة ، ووضعت لها برامج وخططا لا بد وان تعطي ثمارها في المستقبل . كما ان النقاد المغاربة تحركوا في هذا الموسم بعد غياب طويل ، وقيموا باخلاص كل انتاج ، وحاولوا جهدهم توجيه الحركة لصالح الاتجاه التقدمي في البلاد .

ولدت الحركة المسرحية في المغرب منذ نحو اربعين سنة ، في مجتمع ليس له سابق معرفة بالمسرح وبالادب المسرحي . فعاش اول حياته في فقر مدقع في موارده الادبية والمادية ، خاصة وان المجتمع كان لا يهمه المسرح بقدر ما يهمه الفولكلور والموسيقى

الشعبية . كما ان الدولة كانت تبدي تخوفاتهـــا من الحركة المسرحية ، لانها كانت تعلم ان هذه الحركة التي ولدت بجانب الحركة التحررية بالبـلاد خلقت لتكون عليها لا لها . ولكن مع ذلك ظلت هذه الحركة تنمو وتزدهر وتتقدم داخل المدارس الحرة واندية الاحزاب الوطنية الى ان حصل المغرب على استقلاله سنة ١٩٥٦ .

وفي ظـل الاستقلال ، وبمجهودات شخصية ، ظهرت بعض الفرق الهاوية والمحترفة، وبدأ النشاط المسرحي يكون اطاره الخاص في نفوس جماهيرنا . ولكن لحد الآن مـــا زالت نسبة « المغربة » او « التغريب » ضئيلة جدا ، لا بالنسبة لفرق الهواة فحسب ، بل بالنسبة لفرق الاحتراف كذلك .

فاذا ما وضعنا احصاء للمسرحيات التي قدمتها الفرق المغربية من سنة ١٩٥٦ الى اليوم وجـــدنا اكثر من تسعين بالمائة من تلك المسرحيات مقتبسة ، او مترجمة . ومن هنا يبرز السؤال على لسان النقاد المغاربة : هل للمغرب مسرح اصيل ؟ هل هنـاك تأليف مسرحي مغربي يساير اتجاهـــات الفكر والاجتماع في المغرب او في العالم العربي ؟

لقد حضرت الندوة التي نظمها اتحاد كتـاب المغرب العربي حول المسرح عندنا . وقد اثيرت خلال هذه الندوة قضية التأليف المسرحي ، وبعد مناقشة بعض النماذج المسرحية المدونة في المغرب لحد الآن ، اقتنع الجميع بان الحركة المسرحية في هذا البلد ، وان كانت غنية من حيث الاطارات التقنية والفنية ، فانها فقيرة الى العنصر الادبي على الرغم من وجود بعض البراعم التي تحـاول من حين لآخر في هذا الميدان . وهذا هو السبب المباشر الذي يجعل موجة الاقتبـاس تطغى على الحركة المسرحية منذ يوم ميلادها .

وقد انطلق المسرح المغربي في هذا الموسم بفرقتين محترفتين : الفرقة الوطنية للاذاعة ، وفرقة مسرح محمد الخامس . وعرضت الفرقتان ثلاث مسرحيات مقتبسة ، كما عرضت فرق الهواة والفرق المدرسية عشرات المسرحيات الاخرى التي يغلب عليها هي ايضا طابع الاقتباس والترجمة .

افتتحت الفرقة الوطنية للاذاعة الموسم المسرحي بالمغرب برائعة الكاتب الاسباني سرفانتيس «نومانسا»، وهي اقوى مسرحياته على الاطلاق . وقد حـافظ احمد الطيب العلج في اقتباسه لها على الروح والفكرة العامتين فيها ، فجاءت ترجمة متصرفا فيها اكثر منها اقتباسا مسرحيا . وقد لاحظ هذا النقاد المغـاربة الذين تناولوا هذه المسرحية بعد عرضهـــا بالنقد والتحليل ، كما لاحظوا على المقتبس احتفـاظه على الروح القومية الاسبانية – الشيء الذي تقزز منه الجمهور ، وخاصة منه الواعي لقضايا اراضي المغرب المغتصبة من طرف اسبانيا .

والمسرحية الثانية كانت « اميدي » او « كيف الخلاص » لاوجين يونسكو ، التي اقتبسهـا الطيب الصديقي لصالح فرقة مسرح محمد الخامس . وتجدر الاشارة الى ان هذا النوع من المسرح يعرض لاول مرة في المغرب ، بعد السلسلة الكبرى من المسرح الكلاسيكي التي شاهدها في الاربعين سنة الاخيرة . وهذا ما جعل المسرحية تنال النجاح الكبير على مستوى الصحـــافة وعلى مستوى الجماهير ، لا في المغرب وحده بل في تونس ايضا عندمـا عرضت هناك ، على الرغم مما فيها من اخطاء فـــادحة في الاخراج والاقتباس والتمثيل . فقد اضفى عليهـا مقتبس المسرحية ومخرجها اشياء جديدة من واقع المغرب ومجتمعه وعوائده ، وابرز فيها « التراجي كوميك » المطلوب في المسرحية ، ولكنه ركز الحوار كله على الدور الرئيسي الذي قـام هو نفسه بادائه – الشيء الذي جعل المسرحية من النـاحية التركيبية تفقد التوازن الفني،وشوه طريقة اخراجها التراجيدي الصرف .

اما المسرحية الثالثة فهي « مخـــالف سعده » (« الابله ») لموليير. وقد اقتبسها البشير السكيرج، واخرجها لفرقة مسرح محمد الخـامس عبد الصمد دينية . واول مـــا يواجـه المتفرج الواعي لهذه المسرحية هو التناقض بينها وبين اوضـاع المغرب الحالية السياسية والاجتماعية . فالمسرحية لا تخدم هدفا معينا ، خاصة بعد ان جردهـا المقتبس من روحها الاصلية فبقيت هيكلا بلا روح . فالمقتبس لم يحاول اضفاء الروح المغربية على الشكل العـــام للمسرحية، فبقيت جامدة وبعيدة على الواقع المغربي باستثناء بعض النكات والامثال المغربية التي ادمجها المقتبس دمجا في الحوار بمناسبة وبدون مناسبة .

ان الحقيقة المرة التي تواجه رجال المسرح اليوم هي ان المغرب يخلو من النتاجات التي تتناول حياة المغرب باخلاص والتي ترتكز على المقومات الحقيقية للمسرحية . وهذا لا يعني في حد ذاته ان الادباء المغاربة لا يتوفرون على استعدادات كافية لكتابة المسرحية ، ولكن الذين لهم ميول بهذا الميدان ليسوا من المختصين بالمسرح – وهذا ما يجعل الفرق المحترفة تلجأ الى الاقتباس باعتباره الحل الوسط الموقت ريثما يظهر كاتبنا المسرحي الاصيل .

وقد شهد المغرب هذا الموسم موجة هائلة من المعارض الفنية ، خاصة بعد المؤتمر الوطني الاول الذي عقدته الجمعية الوطنية للفنون الجميلة في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي بقصر المأمونية بالرباط ، والذي درس عن كثب اهم المشاكل التي يتخبط فيها الرسم هنا ، و قضايا الرسام المغربي المتعددة الابعاد .

وقد حققت هذه الجمعية اعمالا جليلة بالنسبة للرسامين المغاربة خلال الموسم الحالي ، حيث اشرفت بنفسها على فتح اكثر من اربعين معرضا للرسم ، ظهرت فيها قدرة الفنان المغربي وتجلت فيها الاهمية التي يكتسبها هذا الفنان سواء داخل المغرب او خارجه ، والدور الهام الذي يقوم به لصالح رفع مستوى المجتمع وذوقه .

والواقع ان الرسم المغربي لا يزال منذ ظهوره خلال السنوات العشر الاولى من القرن الحالي يتعثر بين التقليد والتجديد ، وفي كومة من الفوضى والاضطراب . فنجده الى غاية ١٩٦٤ مفتقرا في جميع اتجاهاته الى النضوج الكلي التام . وحتى سنوات متأخرة كان المغرب يتوفر على فن اسلامي في الزخرفة ذات الابعاد الهندسية المحددة المتشابهة وذات المقاييس الفنية المحدودة، اذا لم نقل المغلقة. فكان هم الفنان المغربي طوال القرون العشرة الاخيرة انتاج زخرفة يطلق عليها احيانا اسم «الاندلسيات» كما تسمى في بعض الاحيان « العربيات »، يباهي بها كثيرا من دول العالم، وكانت المعارض الحقيقية لهذا الفن هي الدور والقصور والمباني الفخمة في العواصم المغربية التاريخية مراكش و فاس و تطوان، وكانت هذه الزخرفة تعبر في هندستها ووضعها الجمالي عن الذهنية العربية في المغرب .

والحقيقة ان هذه الزخرفة ما زالت لحد الآن تؤثر في العقلية المغربية ، الا ان المغرب عرف في المرحلة الاستعمارية نوعا من الرسم على يد مجموعة من الفنانين الفرنسيين الذين اتوا المغرب عن طريق البعثات الثقافية والفنية الفرنسية وعن طريق الغارات الاستعمارية. وقد كان لهؤلاء تأثيرهم الخاص على مجموعة من الطلبة الذين نضجوا فيما بعد واعطوا نتائج ايجابية في خلق رسم ينتسب الى المغرب جنسيا على الاقل . ويمكن ان نذكر من هؤلاء الاساتذة بن علال و فريد بلكاهية و الغرباوي و محمد بناني .

على اثر هذا نجد وضعية الرسم الآن وضعية تبعث على التفاءل . الا ان الذي يريد القاء نظرة على الاعمال الفنية التي تحققت في هذا الميدان خلال الموسم الحالي ، ينتابه بعض الاستغراب لتضارب الاتجاهات ومعاكساتها وتناقضها . وهذا ليس عيبا في حد ذاته، حيث ان كثيرا من فنانينا لا يركزون جهودهم من اجل خلق مدارس خاصة بهم ، وانما ينحصرون في اطار الاتجاهات الغربية المنبعثة من باريس على الخصوص .

في بداية هذا الموسم اولت الجمعية اهتمامها لعرض فن « النايف » الساذج . والسبب في اهتمام الجمعية بهذا الفن يرجع لا شك الى اهتمامها بدراسة تطور الفن المغربي ، حيث عرف المغرب هذا الاتجاه قبل الاستقلال برعاية مجموعة من الفنانين الفرنسيين الذين وجدوا فيه نوعا من الغرابة والبدائية والاصالة في نفس الوقت . والملاحظ ان هذا الاتجاه الفني لم يجد اي اهتمام من طرف رجال النقد والصحافة ، كما لم يحظ بالتفاتة الجماهير المتتبعة لفن الرسم – الشيء الذي جعل الجمعية تحول اهتمامها الى المدارس الحديثة ، والى المجموعة المعروفة من الرسامين المغاربة باهتماماتها في هذا الميدان .

وابرز ما عرضته لاصحاب هذه المدارس والاتجاهات ، معرض محمد عمار ، وهو شاب في الربيع الثالث والعشرين من عمره ، لوحاته جميعها تحمل طابع الرسالة الكاملة ، كما تتسم بظاهرة الحزن والكآبة والالم ، حيث ترسم ظلالها في خطوطه المتعانقة ، والوانه الحالمة بشكل تأثيري

كبير ينحو الى السريالية .

وجاء ومعرض محمد الغرباوي، الذي خصه بلوحات سريالية لا تخضع بطبيعة الحال الى القيود الفنية الكلاسيكية التي عرفها تاريخ الفن منذ عصور موغلة في القدم . والجدير بالاشارة ان سريالية هذا الفنان فيها عودة مباشرة الى الواقعية ، ورد فعل قوي لما سبق له في التجريدية . ولكنها واقعية مزدوجة: واقعية الاشكال في الاداء الفني، وواقعية علمية تكشف عن خبايا نفسه واسرار اللاشعور وما هو كامن في اعماقه من احلام وامانٍ وذكريات وكبت وحرمان . وفي رأيي ان هذا المعرض كان عديم الفعالية من الناحية الاجتماعية ، كما ان موضوعاته لم تساير اوضاع المغرب الراهنة ؛ لانه لم يكن بامكان الجماهير ولا الصحافة ادراك المعاني الحقيقية التي قصد اليها الفنان بواسطة مجموعة من الخطوط والاشكال التي لا تخضع لاي نظام هندسي.

اما المعرض الثالث ، فكان لمحمد بناني ، الذي عرض لاول مرة بالمغرب في سنة ١٩٦٣ بعدما عرض بباريس و دسلدورف و الاسكندرية . وهو من اتباع المدرسة التجريدية المتطرفة ، لا من حيث الاشكال فحسب ولكن من حيث المضمون ايضا ، اذ جاء معرضه هذا مجموعة خطوط ذات ايقاعات متساوية ولطخات متفجرة على القماش . كما كان خطوة محمودة وايجابية في نفس الوقت ، حيث ابدى الفنان مهارة فنية في اطار التجريد لم يعرفها العالم الفني في المغرب من قبل . اما اهتماماته في هذا المعرض فكانت متجهة الى الناحية الانسانية ، حيث اعطانا مجموعة من التحولات الفردية التي تبتدىء بالثراء العاطفي ثم تنتهي بالذاتية الاجتماعية . بيد ان تطوير الاشكال الفنية فيها كانت عملية جد مهمة ، اذ نقل لنا الشكل الفني من مستوى حضاري منته الى بهرجة ذات مراكز اساسية متأثرة بالطبيعة العربية .

اما اتحاد كتاب المغرب العربي في اطار الرسم، بصفته المنظمة العليا لرعاية الفنون والآداب بالمغرب العربي التي ينضوي تحت لوائها الكتاب والمؤلفون والفنانون المغاربة ، فقد رأى من واجبه ان يدعم هذا النشاط، ففتح في وجه الرسامين الهواة مركزا آخر هو « دار الفكر » بالرباط .

ان الفنان المغربي لا يزال مدعوا لان يعدل نظرة الانسان واحساساته ، كما هو مدعو لان يطور شكل التعاطف بين الانسان والعمل الفني ، بين الذات والذوق ، بين اوضاع المغرب السياسية والاجتماعية وما يلتزمه العمل الفني من واجب ومسؤولية . وهذه على ما اعتقد هي المهمة الملقاة اليوم على عاتق جمعية الفنون الجميلة التي تشكلت في الموسم السابق، وعلى اتحاد كتاب المغرب العربي الذي وجد بالمغرب لمثل هذه الغايات .

الفوكلور ، بما فيه من انواع الرقص الشعبي والفنون الجميلة ، يحظى باهمية فائقة من طرف الجماهير الشعبية، كما له اثر فعال في عكس المظاهر الحضارية المغربية على بيئة المغرب الاصلية .

واذا كانت الدول الراقية اليوم تحرص على صيانة هذا النوع من الفنون ، بواسطة التسجيلات الاذاعية والسينمائية الخاصة وبواسطة التنظيمات المسرحية وجعله محل العناية اللازمة، فان المغاربة لم يلتفتوا الى تنظيمه وتجديده ونشره حسب الطرق الحديثة في التنظيم الفوكلوري في العالم الا في السنوات الاخيرة ، حيث فكر المسؤولون عن الفنون الجميلة في انشاء فرقة للباليه الشعبي ولاحياء الفوكلور ، منتخبة من اهم الاقاليم المغربية التي تعرف باصالتها في هذا الميدان . وقد تشكلت هذه الفرقة على اساس العمل لصالح المسرح الكامل الذي يعتمد على جميع انواع التشخيص ، من فن تمثيلي وفن غنائي ورقص وميم وميوزيكهول .

لقد نظمت هذه الفرقة اول مهرجان فوكلوري بالمغرب سنة ١٩٦٢ ، ثم توالت اقامة المهرجانات الفوكلورية في كل سنة في اطلال تاريخية، كان آخرها الذي نظم خلال شهر ايار (مايو) الاخير في اطلال قصر الحمراء بمراكش . واذا ما بحثنا عن خصائص هذا المهرجان الاخير الذي حضره ما يقرب من ٣٠٠،٠٠٠ متفرج وسائح في مدة لا تزيد على نصف شهر من مختلف القارات الارضية ، فاننا سنجدها في ذلك الثراء الفوكلوري الذي يعوض بلا شك عن التقاليد المسرحية الحقيقية التي يفتقدها المغرب. فانه اشتمل على مجموع الاشكال والالوان الفوكلورية بما فيها من الرقص والغناء ، والتمثيل ، والميم والموسيقى

الصامتة ، الخ . كما كانت عروضه الراقصة تذكيها روح الحياةالشاملة في المغرب لما يبدو على المشاركين فيها من اتقان في حركاتهم اللطيفة ، ومن مميزات في البستهم الجبلية والقروية المنسجمة . ومن اهم الرقصات الفوكلورية التي احرزت النجاح الكبير في هذا المهرجان رقصة « الكدرة » العجيبة، وهي رقصة تعتمد اساسا على ايقاعات موسيقية ذات اصول عربية ، ورقصة « احيدوس » ذات الايقاعات البربرية، ورقصة «كناوة» ذات الايقاعات الزنجية.

الرافضة الجديدة

كومو (ايطاليا) ، س جمال م. احمد :

« يحافي عظيم النغم
ينغمه البحر ،
يكفيه من دنياه تل ،
وبين يديه دنيا حافلة ،
ترجوه ان يختار ».
— طوم غن

الرافضة الجديدة هي هذه الكثرة الكاثرة ، من اساتذة الجامعات في الولايات المتحدة ؛ شبابا كان في العشرينات الباكرة من عمره، اخريات الحرب العالمية الثانية ، ورأى من شرور الحرب في اوربا ، وقد اسهمت الولايات المتحدة فيها اسهاما بعد بيرل هاربر . دخل الجامعات من بعد ، رجالا نضجا ، يرون بين الذي يدرسون من علوم وفنون، وبين الذي خبروه في الميدان، صلة تتيح لهم الحوار العاقل مع اساتذتهم ، والجدال المنير ، وخرجوا هم انفسهم اساتذة، يدرسون بعض الذي قرأوا وبعض الذي خبروه في الحياة ، وتخرجوا على ايام لا تشيع الطمأنينة في النفس : انتهت الحرب الكبيرة في المسرح العالمي كله ، وعقبتها الحروب الصغيرة هنا وهناك في كل شطر من اشطار العالم . اذاً لم تنه الضحايا الملايين في آسيا و اوربا ولم تنه هيروشيما الحروب ، كما زعم الزاعمون بادىء بدء . كانوا في ثلاثينات عمرهم ايام كوريا ، يتحدثون في حجرات راحتهم في الجامعات عن العبث فيها وعدم جدواها، وفي اربعيناتهم الباكرة الآن التقى نضج الرجولة فيهم ، بوضع سياسي لا يريح . دعوا للرئيس جونسون وعملوا من اجله ما يستطيعون ، كيلا يتولى القيادة غولدووتر ، واذا بهم نهاية المطاف امام معضلة ما اتت في البال : جاؤوا بالرجلين معا ، كما يعبر بعضهم . يعنون انهم اتوا برجل حاذق ينفذ ما اعلن منافسه من سياسات مروعة . اتوا برجل كتوم قوي الشكيمة يقزم جنبه كل ذكي وكل قادر، ظله فوق كل مكان ، وشخصه كطوله وعرضه ، لا يقاوم . شاطر وقادر .

ما كان ممكنا ان تتلقى هذه الفئة الذكية من شباب الجامعات خيبتها هذه وهي راقدة كما يقولون. قاومت بكل سبيل فكري سياسات الادارة في فيتنام ، ونقلت المقاومة الى الجدال الجماعي مع قادة الادارة الحكومية في واشنطن ، تشهده ملايين الرجال والنساء ، لا في الجامعات وحدها بل على شاشة التلفزيون . جدال في كل جامعة ، عرف في النهاية بالتعليم الداخلي ، يشترك فيه المعلمون ليدفعوا الامريكان دفعا لمقاومة تلك الحرب ، واشترك فيه قادة الادارة من اهل الفطن والمعرفة ، امثال بندي مستشار الرئيس لشؤون الامن، وقدم له من بريطانيا اساتذة فحول يرون رأي هذا الفريق من اساتذة الامريكان .

ما كان كبيرا عدد الرافضة الجديدة في الندوة التي اجتمعت في فيلا سربلوني ، على بحيرة كومو، شمالي ميلانو بايطاليا . كان عددا صغيرا، اكثره من جامعة هارفرد ، الجامعة التي تشرف على الاكاديمية الامريكية للعلوم والفنون، التي دعت لهذه الندوة، بعون من منظمة حرية الثقافة ، ليتفاكر علماء الاجتماع وعلماء الطبيعيات وعلماء الاقتصاد في حال الدنيا — كما نعبر نحن — ليديروا بينهم الرأي ، في الذي ينبغي ان يعمل ليسود في العالم نظام ، وقد